

محتويات العدد ١٥ لعام ٢٠٠٦

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
منهج الرسول في الدعوة المرحلة المكية في ضوء الكتاب والسنة	د. سعيد عبد الرحمن القرقي	١
دعوة الاسلام الى وحدة المجتمع الانساني ونبذ الفرقة	د. طارق محمد سميان	٥٧
الادغام الكبير	د. محمد خضير الزوبعي	٩١
فقه الخلاف واثره في الواقع	د. غازي خالد العبيدي	١٢٠
مفهوم العدالة وعلاقتها بالقانون	د. محمود حسن علي	١٦٨
التفسير العلمي في القرآن واثره في العقيدة والفكر	د. طارق محمد سميان	١٩٥
اقسام التوحيد وانواعه عند الصوفية	د. ثائر ابراهيم الشمري	٢٢٢
اراء النحاة في الوقت والامانة في كتاب الكنز للواسطي	د. غازي خالد العبيدي	٢٦٣
فقه الامام يحيى بن معين من خلال تاريخه	د. غازي خالد العبيدي	٢٧٨
اسرار الجبال في القرآن الكريم	د. اسماعيل محمد قرني	٣٣٩
رواية المبتدع واثرها في اختلاف الفقهاء	د. عثمان محمد غريب	٣٦٤

التفسير العلمي في القرآن الكريم وأثره في العقيدة والفكر

بحث تقدم به

الدكتور طارق محمد سميان

في العقيدة والفكر الإسلامي (عقائد - علوم - قرآن)

جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

المبحث الأول

بداية ظهور التفسير العلمي

اتسع القول عند أصحاب هذه الطريقة (طريقة التفسير العلمي) في احتواء القرآن، كل العلوم فهو يشمل الى جانب العلوم الدينية الاعتقادية والعملية سائر علوم الدنيا على اختلاف أنواعها وتعدد ألوانها، وقد ذكر الذهبي (رحمه الله) معنى هذا الوجه من التفسير بقوله: (هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها)^(١).

ويذكر أن أول من استوفى هذا النوع من التفسير وبيانه وعمل ترويجه في الأوساط العلمية الإسلامية الإمام الغزالي (رحمة الله) فقد قال في كتابه الإحياء: (كل ما أشكل فهمه على النظر وأختلف فيه الخلق في النظريات والمعقولات في القرآن له رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها)^(٢). ثم يروى عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال: (من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن)^(٣).

وفي كتاب (جواهر القرآن) في كيفية انشعاب العلوم جميعها من القرآن الكريم بذكر، (علم الطب)، (النجوم)، (هيئة العالم)، (هيئة بدن الحيوان)، (وتشريح أعضائه)، (وعلم السحر)، (علم الطلسمات) ... وغيره، ثم يقول: (وراء ما عدته علوم أخرى، تعلم تراجمها ولا يخلو العالم عن يرفها... والعلوم جميعها مفترقة من بحر واحد من بحار الله تعالى، وهو بحر الأفعال، وأنه بحر لا ساحل له، وإن البحر لو كان مداداً لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفذ، وذكر أن من أفعال الله تعالى:

(١) التفسير والمفسرون: - محمد حسين الذهبي - التفسير العلمي: ج ٢، ص ٤٧٤.

(٢) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي: ج ١، ص ٢٨٩.

(٣) المصدر السابق - الإحياء -

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين وبعد:-
قال تعالى:- (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)^(١)، وقد جعل الله سبحانه صلاح حال الناس وحياتهم مرتبطة بالإيمان به، فما أحوج الناس اليوم إلى الرجوع إلى كتاب ربهم ليعودوا إلى السبيل الأقوم الذي أراده الله لعباده فينالوا العيش الآمن والحياة الطيبة، كيف لا وقد أصبح الكثير من أمم العالم لا ترى الأمان ولا الاستقرار لأن قاداتها وساستها أصبحوا يتخبطون في توجههم المادي الذي لا طائل منه، فبواسطة المنهج الرباني يمكنهم العمل على الموازنة بين هذا التقدم المادي العلمي والهدى الإيماني الأخلاقي قال سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيبكم)^(٢).

وما أوجب على حملة القرآن من أن يحملوه بحق فهو واجبهم أمام الله وتجاه الإنسانية.

فعلاجاً لذلك وتقريباً لمعاني التوحيد والإيمان وزيادة في الإقناع وتقوية وتثبيتاً لهذه الحقائق في أذهان الناس فسيكون للتطابق القرآني مع الحقائق العلمية ما يجد به التائه ضالته والمؤمن حجتَه والمفكر مقتعه إلى الطريق الأصوب في فهم القرآن وتفسيره بعقل المؤمن المجتهد الذي يتبين فيه أولو الأبواب أنه الحق المبين.

(١) النساء: ٩١

(٢) الأنفال: ٢٤

١- الشفاء والمرض، كما قال الله حكاية عن إبراهيم (عليه السلام) (وإذا مرضت فهو يشفين)^(١)، وهذا الفعل لا يعرفه الأمن عرف الطب بكماله إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله وعلاماته، ومعرفة الشفاء وأسبابه)^(٢).

٢- ويبين الإمام أن من أفعاله أيضا تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان في قوله تعالى: (الشمس والقمر بحسبان)^(٣)، وقال تعالى: (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب)^(٤). وفي سورة يونس قال تعالى: (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل)^(٥)، وفي سورة أخرى: (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)^(٦)، ثم يقول: (ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما، وولوج الليل في النهار وكيفية تكور أحدهما على الآخر إلا من عرف هيئة تركيب السماوات والأرض وهو علم برأسه).

٣- ولا يُعرف كمال معنى قوله تعالى: (يا أيها الإنسان ما غرّك ربّك الكريم، الذي خلقك فسوّك فعدلك في أي صورة ما شاء ربك)^(٧)، إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهراً وباطناً، وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها وهي من علوم الأولين والآخرين)^(٨). ونجد أن الإمام السيوطي (رحمة الله) ينحى منحى الغزالي في هذا اللون من التفسير فيعمد قوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء)^(٩).

(١) الشعراء / ٨٠

(٢) جواهر القرآن - أبو حامد الغزالي - ص ٢٥ - ٢٦.

(٣) الرحمن / ٥

(٤) يونس / ٥

(٥) يس / ٣٨

(٦) لقمان / ٦١

(٧) الانقطار / ٦، ٧، ٨

(٨) جواهر القرآن: ص ٢٧

(٩) الانعام / ٣٨

وقوله سبحانه: (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء)^(١). وما أخرجه البيهقي عن الحسن قال: (أنزل الله مائة وأربعة كتب، وأودع علومها أربعة منها: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة - الفرقان -)^(٢).

ونقل عن الذهبي (رحمة الله) إن بعض العلماء، استنبط أن عمر النبي (صلى الله عليه وسلم) - ثلاث وستون سنة - من قوله تعالى: (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها)^(٣)، فإنها راس ثلاث وستين سورة، وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده^(٤).

ثم ذكر عن أبي الفضل المرسي أنه قال في تفسيره: (جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم به، ثم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم والتابعون لهم بإحسان، ثم تقاصرت الهمم وقُتِرَت العزائم وتضاعل أهل العلم فقامت كل طائفة بقن من فنونه.

- فاعتنى قوم بصبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها... الخ فسموا بذلك (القرّاء).

- واعتنى النحاة: بالمعرب والمبني من الأسماء والأفعال والحروف وإعرابه، وآخرون بكل كلمة منه.

- واعتنى المفسرون بألفاظه، فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد، ولفظاً يدل على معنيين، ولفظاً يدل على أكثر، فأجروا الأول على حكمه، وأوضحوا معنى الخفي منه... الخ^(٥).

(1) النحل / ٨٩

(2) الاتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ، ج ٢، ص ١٢٥

(3) المنافقين / ١١

(4) الاتقان : ج ٢، ص ١٢٥

(5) المصدر السابق : ج ٢، ص ١٢٦.

— واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة القطعية والشواهد الأصلية والنظرية، مثل قوله تعالى: (لو كان فيهما الهة إلا الله لفسدتا)^(١)، ومن أخرى غيرها فاستنبطوا منها أدلة على وحدانية الله، ووجوده وبقائه، وقدمه، وقدرته، وعلمه، وتنزيهه عما لا يليق به وتسموا هذا العلم بـ (علم أصول الدين)^(٢).

— فتأملت طائفة معاني خطابه، فرأت منها ما يقتضي العموم، ومنها ما يقتضي الخصوص إلى غيره فاستنبطوا منه إحكام اللغة من الحقيقة والمجاز وتكلموا في التخصيص والإضمار والنص والظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والأمر والنهي والنسخ... إلى غير ذلك من أنواع الألفية، واستصحب الحال والاستقراء، وسموا هذا الفن أصول الفقه.

— وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السابقة والأمم الخالية، ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم، حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء، وسموا ذلك بالتاريخ.

— وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام، وسائر الأحكام فأسسوا أصوله وفروعه وبسطوا القول في ذلك بسطا حسنا، وسموه بعلم الفروع^(٣).

— وتنبه قوم إلى ما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ التي تقلقل قلوب الرجال وتكاد تدكدك الجبال، فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير وذكر الموت والمعاد والنشر والحشر والحساب والعقاب والجنة والنار، وفصولا من المواعظ وفصولا من الزواجر، فسموا بذلك الخطباء والوعاظ.

— واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير، من مثل ما في قصة يوسف، في البقرات السمان، وفي مناحي صاحبي السجن، وفي رؤياه الشمس

(١) الأنبياء: ٢٢.

(٢) أي علم العقائد

(٣) المصدر نفسه: ١٢٧/٢.

والقمر والنجوم ساجدة ، وسموّة تعبیر الرؤيا ، فاستنبطوا كل رؤيا من الكتاب وتأويلها فان عزّ عليهم إخراجها منه فمن السنة التي هي شارحة للكتاب ، فان عزّ فمن الحكم والأمثال ، ثم نظروا الى اصطلاح العوام في مخاطباتهم وعرف عاداتهم الذي أشار إليه تعالى : (وأمر بالعرف)^(١) .

— واخذ قوم مما في بداية الموارد من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك ، وسموه بعلم الفرائض ، واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثلث — حساب الفرائض ، ومسائل العدل ، واستخرجوا منه أحكام الوصايا .

— ثم يعدد بعد شرح كل علم انهم ، استخرجوا علم المواقيت .

— استخراج الشعراء منه والكتاب ما يحتاجونه في حسن السياق وبديع النظم وغيرها .

— ثم يقول ، واحتوى علوم الطب ، والجدل ، والهيئة ، والجبر ، والمقابلة والنجامة ، والهندسة من مثل قوله تعالى : (انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من الالهب)^(٢) ، فالقاعدة الهندسية هي إن الشكل المثلث لا ظل له^(٣) ... الى غير ذلك مما يحتاج الى شرحه مجلدات .

من الملاحظ أن نزعة التفسير العلمي هذه تمتد من عنصر النهضة العباسية الى يومنا هذا ، فكانت الفكرة صريحة ومركزة على لسان الغزالي ، وابن العربي ، والمرسي والسيوطي ، ولقد طبقت الفكرة علمياً في مثل محاولات الرازي ضمن تفسيره للقرآن فحاول أن ينقل أفكار الغزالي الى دائرة التطبيق العملي ، فملاً تفسيره بمختلف أنواع العلوم والمعارف الإنسانية التي كانت سائدة في عصره ، شارحاً مسائلها مبيناً الحكمة الكامنة وراء كل آية قرآنية تتحدث في تلك الموضوعات ، وهو يبرر ذلك بأن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السماوات والأرض وتعاقب الليل والنهار ، وكيفية

(١) الاعراف : ١٩٩ .

(٢) المرسلات : ٣١ ، ٣٠ .

(٣) الاتقان : ج ٢ ، ص ١٢٧ .

أحوال الضياء والظلام وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر من سورة وكررها وأعادها مرة بعد مرة ، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جانزا لما ملأ الله كتابه منها ، ثم انه كلما كان وقوف الإنسان على دقائق هذه العلوم في كتاب الله أكثر كان اعتباره في عظمته وجلاله اكمل^(١).

(١) دراسات في أصول التفسير - د. محسن عبد الحميد ص ١٣١-١٣٢.

المبحث الثاني

إنكار الشاطبي للتفسير العلمي

كما هو معلوم أن الشاطبي (رحمه الله) قد وقف أمام فكرة إقحام العلوم المختلفة في تفسير القرآن ، واعتبرها غير صحيحة وقال: ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب ينبنى عليه قواعد منها؛ إن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم - أي الرياضيات والهندسة - وغيرها ، وهذا إذا ما عرضناه على ما تقدم لم يصبح ، وإلا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا اعرف بالقرآن وبعلمه وما أودع فيه ولم يبلغنا أنه تكلم احد منهم في شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم .

وقد عزا الباحثون هذا الاتجاه العلمي في منهج التفسير اليوم الى أمور منها ، وهي - أهم حجج القائلين بالمنهج العلمي للتفسير في العصر الحديث وكما يلي:-

١- الرد على مخططات الغزو الفكري على الإسلام بإثبات ان القرآن لا يخالف العلم ولا يتعارض مع حقائقه^(١).

٢- أن هذا الاتجاه أراد ان يلتفت انتباه المسلمين الى العلوم المختلفة كي يستفيدوا منها في بناء حضارتهم المجيدة ويتفوقوا على الإفرنج في الزراعة والطب والمعادن والحساب والهندسة والفلك وغيرها من العلوم والصناعات.

٣- ويعزو الأستاذ مالك بن نبي هذه الظاهرة الى الصدمة التي حصلت للضمير الإسلامي في القرن التاسع عشر وفي هذا القرن تجاه الحضارة الغربية كما أنه يعبر عن ظاهرة جديدة هي ؛ تلك العلمانية العقيمة التي

(١) دراسات - د. محسن عبد الحميد :ص ١٣٥.

ليست بالنسبة الى العالم الإسلامي الا عملية تعويض في الميدان الذي شعر بتحدي الحضارة الغربية^(١).

٤ - الاعتباط الحاصل لدى المسلمين بسبب التوافق الناشئ بين الحقائق العلمية الحديثة وبين اخذ ما ندين به وهو القرآن العظيم ، وهذا التوافق يخلصنا من أزمة الإحساس بالتخلف التي تورقنا^(٢).

لذا وضع العلماء بعض القواعد في بيان جوانب هذا الإعجاز في ضوء العلم وجب ان يحكم هذا البيان والتفسير وثلا يكون موضعاً للنقد وليسلم للحقيقة وكما يلي:-

— القواعد العامة للتفسير العلمي —

اولاً:- يجب على المفسر ان لا يخالف القواعد اللغوية الواضحة المقررة في التفاسير والمعجمات اللغوية ، ذلك ان من أهم خصائص القرآن المطابقة لتلك القواعد.

ثانياً:- استنباط القضايا إما من صريح النص أو من إشارات قوية واضحة كما قرره وضرب له أمثلة الأستاذ حنفي احمد في كتابه (التفسير العلمي للآيات الكونية).

ثالثاً:- يجب ان لا نفسر القرآن الكريم الا بالحقائق العلمية ، والابتعاد عن إقحام النظريات العلمية والاحتمالات في تفسير آياته كما يقول الأستاذ الغمراوي ، (ينبغي الا نفسر كونييات القرآن الا باليقيني الثابت من العلم).

رابعاً:- لا بد من جمع الآيات الواردة في الموضوع المبحوث عنه حتى نستطيع ان نتوصل الى الحقيقة.

خامساً:- الوقوف عند الإطار العام لمعنى الآية وترك ذكر التفاصيل والاستطرادات حتى لا يخرج المفسر عن دائرة التفسير ، كما فعل الأستاذ الغمراوي في تفسير قوله تعالى: (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير

(١) المصدر نفسه — دراسات —

(٢) مباحث — د. عبد الستار حامد: ص ١٣٥.

العزیز العظیم^(١)، فهو لا يخرج عن الإطار العام لحركة الشمس في ضوء العلم الحديث^(٢)، وبهذا يمكن وضع طريق امثل لهذا التفسير.

المبحث الثالث

المسيرة العقلية والفكرية للتفسير العلمي

بعد السبات الذي مرَّ على الأمة الإسلامية من عهد تخلفت فيه عن مسيرتها التي بدأتها حتى بداية القرن الرابع عشر الهجري وفيه نجد أيضاً الاتجاه نحو التفسير العلمي الذي اعتمدته كثير من المفسرين ، حيث مضى القرن الثالث عشر بما فيه من طلائع التطور في الأوضاع وعوامل التنبيه للأفكار والتقليب في العوائد والطباع ، وجاء هذا القرن كما قال حافظ إبراهيم : (يسير على قدمين) من ليل ونهار ، ويظير بجناحين من كهرباء وبخار) ، فأيقظ مقدمة النفوس من سباتها إيقاظاً مزعجاً وهز الأفكار هزاً عنيفاً ، ثم أوقفها أمامه خائفة غير تامة الانتصاب ، مضطربة مرتعشة من جراء الإيقاظ المزعج والهز العنيف اللذين ادخلهما عليه.

فتح الشرق عينيه على الوجود الذي واجهه من جديد بعد نومته العميقة ، ونظر الى الدنيا التي كان قد اعرض عنها وذهل عن مراقبتها برهة قصيرة فيما يحسب ، فإذا هي غير الدنيا التي كان قد عرفها قبل إعراضه وذهوله ، وإذا هو كالرجل الذي^(٣) (آماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت)؟. قال: لبثت يوماً او بعض يوم^(٤).

وقد استقبل ابن خلدون القرن التاسع الهجري بنظرة مشفقة من عواقب ذلك الدوران حين يقول: (واعتبر بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة ، لما كثر عمرانها صدر الإسلام واستوت فيها الحضارة ، كيف زخرت فيها ثمار

(1) يس: ٣٨.

(2) دراسات - د. محسن عبد الحميد: ص ١٣٦-١٣٧ (باختصار).

(3) إشارة الى آية: ٢٥٩ من سورة البقرة.

(4) البقرة / ٢٥٩.

العلم ، وتفننوا في اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم ، واستنبط المسائل والفنون ، حتى اربوا على المتقدمين ، وفاتوا المتأخرين ، ولما تناقص عمرانها وإنذر سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة ، وفقد العلم بها والتعليم (، ثم يقول في خشية وإشفاق : (وما ادري ما فعل الله بالمشرك)^(١) .

وفيما كان العالم الاسلامي يتطلع من حيرته الى حكمة تخرج له الحقائق الدينية نقيّة من وراء أسوار البدع ، ويتصور هذا العمل المنتظر في صورة ربما كان يتصورها اقتباسا من مثل لها مرّت به في القرون الغابرة من آثار الطرطوشي والشاطبي وابن الحاج وابن تيمية وابن القيم والشوكاني والرهوني والسنوسي وابن عبد الوهاب ، كانت محاولات منصبة إليه من الغرب ومن الشرق تتجه الى قطع أمّله من تجديد كيانه الإسلامي . إذ تبرز له الحقائق الدينية وراء ذلك السور ولن تستطيع ان تجد فيه منفذا للخلاص .

فكان الذي تحقق فيه أمل العالم الإسلامي بربور دعوة دينية هادية تكفل إظهار الحقائق المحمدية من وراء سياج البدع ، وترد غائلة هذه التيارات العادية التي كانت تؤشك ان تؤدي به ، هو رجل من أرومة العرب المستعجمين ينتمي الى النسب الحسيني الطاهر ، نشأ بين نخوة النسب ، وحكمة العلم ، وخبرة السياسة ، واستكمل جهازه العلمي في العربية والعجمية ، من علوم لسانية وأدبية ودينية وعقلية ، فبلغ فيها المنتهى على ما هو شأن أهل القطر الذي نشأ فيه وهو بلاد أفغانستان ، وهو : (السيد جمال الدين الأفغاني)^(٢) . وهو مصدق التوقع الذي كان قد توقعه العلامة ابن خلدون من أن : (بضائع العلوم الحكيمة لم تسزل متوفرة في عراق العجم وما بعده ، وانهم على شج من العلوم الحكيمة) ، فقد كانت نشأة السيد الأفغاني على دراسة حكمية عميقة سامية خالط بها ابن سينا والغزالي وابن رشد والإمام الرازي وابن خلدون ، وامتزج فيها مع السهروردي

(١) انظر المقدمة - لابن خلدون .

(٢) انظر كتاب الأفغاني - المفترى عليه - د. محسن عبد الحميد .

، والكاتبى ، والقطين : الرازي والشيرازي ، والعرض ، والدواني ، والليدي ،
والسعد ، والسيد^(١).

على هذا اتخذ هذا الرجل في اعتماده الآية الكريمة : (ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم)^(٢) ، في طريقته الإصلاحية للمجتمع الإسلامي.
وكان في مقدمة المنتسبين إليه والآخذين عنه من هو عضده في علمه وعمله
والقائم على حكمته ومذهبه الإصلاحي من بعده الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ،
حيث أفاد منه عندما أقام كما يقيم الوافدون من الناس في (خان الخليلى) في
مصر وكانت يد الجبروت التي خرجت بالسيد جمال الدين من الهند ، قد خرجت
قبله من حيث لا يعلم هو بصديقه وتلميذه من مصر منفيًا فأقام في بيروت ،
وجمعت رياح الأحداث بين الرجلين في باريس أوائل السنة المالية ، فامتزجت
الروح بالروح ، وتجسست الفكرة بالقلم واقتبل جمال الدين بعقله ومحمد عبده
بقلمه يخطان منهج الخلاص في (جريدة العروة الوثقى) ، وبعد فترة من العمل
الدؤوب النافع لوضع العلاج والأدواء للأمراض انتهى المطاف بعد تنقله كيفما
شاءت الأقدار بوفاة السيد جمال الدين في الأستانة سنة ١٣١٤هـ — ١٨٩٦م ،
وأما الشيخ محمد عبده فرجع من باريس الى تونس ثم انتقل الى بيروت فمصر
سنة ١٣٠٦هـ فأصبح الشيخ محمد عبده في الحقيقة أثار من آثار السيد
الأفغانى لم ينفذ الى لباب المعارف الا بتوجيهه ولم يتذوق روح حكمته الا
بنفحاته ، فقد كان ما رآه الشيخ ان القرآن هو الدواء الشافى للمسلمين مما هم
فيه ولكنهم لا يتناولونه فأين اليد التي تقرب من هذا المريض دواءً ، لا جرم
إنها لن تكون الا يد التعليم الصحيح للإسلام والتفسير الحكيم للقران.

فكان دخوله لبيروت بهذا اليقين مصادف بحركة إصلاحية إسلامية تغلى كان
قد ألهبها فيها المصلح مدحت باشا وهو واليا عليها وألهب حرص المسلمين
على مجارة المسيحيين في نهضتهم التعليمية ، وهناك ابتداء ينتهج النهج الذي
رآه الموصّل الى تحقيق حالة إسعاد المسلمين والإسلام وهو منهج تقرير العقيدة

(١) الفقير ورجاله ت ابن عاشور : ٢٢٥.

(٢) الرعد/١١.

الدينية وتفسير القرآن ، تقريراً وتفسيراً يتجردان عما ربط به كل منهما من الطرائق الملزمة والأنظار غير المسلمة^(١)، فابتدأ بالجامع العمري ببغروت بعد مجلساً للتفسير لا تتبع فيه الطريقة الملزمة يومئذ من الاعتماد على كتاب يقر كلامه ويدور البحث حول مسائله وعباراته ، ولكنه كان يقرأ الآية من القرآن ويفيض في شرح معانيها واستخراج أسرار حكماتها على طريقة لم يسبق إليها ، وابتغى على نور تلك الحكمة القرآنية إلى أحوال المسلمين وأوضاعهم مبنياً فسادها بالمقارنة ومستمداً من الهدى القرآني ما يوضح ضررها ويشير إلى ما يدفع خطرها ، ولما عاد إلى مصر عاود تفسيره بالجامع الأزهر سنة ١٣١٧هـ ، فاستمر على ذلك الدرس ست سنين بطريقته العجيبة وكان تلميذه السيد محمد رشيد رضا يلحظ تلك الدروس وينشرها في مجلته الإسلامية الكبرى (مجلة المنار) لذلك اشتهر تفسيره باسم (تفسير المنار)^(٢)، فكان التفسير سائراً على منهج الاعتناء بحاجة العصر وعدم التقيد بما هو موجود في كتب التفسير وتدارك ما خللت منه من مدارك الحكمة الإسلامية الجديدة بالإبراز والتقدير ، وأصبح الشيخ رشيد رضا لا يتحرى حكاية أو تلخيصاً لما يقوله الأستاذ الإمام بل كان يكتب ما يجد في نفسه من إدراك لمعنى الآية بما ثار في فكره أو انساق إليه علمه مما يوضح معنى الآية ، ويحتفل لإيراد ما اختص ببيانه الأستاذ من المعاني المستجدة المبتكرة فيعزو إليه ذلك صراحةً ، وكان الأستاذ يقره على ذلك لما كان حياً^(٣)، ولما توفي الأستاذ واستمرت مجلة المنار تنشر دروس التفسير أصبح التحرير واضحاً في التفرقة بين ما هو منقول عنه وما هو من بيان الكاتب واستقل الشيخ رشيد وحده بأعباء التفسير فأكمل منه إلى نهاية الجزء الثاني عند قوله تعالى: (وان الله لا يهدي كيد الخائبيين)^(٤)، من سورة يوسف فكان ما

(١) المصدر نفسه : ٢٣٥-٢٤٠ (بتصرف).

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٤٢.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٥٢.

(٤) يوسف / ٥٢.

كتبه اعتماداً على أساتذه أقل من خمسة أجزاء وما كتبه وحده بعده أكثر من سبعة أجزاء فكان حظه في المجموع أغلب ، وانتساب هذا التفسير إليه أحق . فكان الشيخ رشيد رضا بما امتزج بالأساتذ الإمام روحياً وفكرياً قد تأثر بهذا المنهج وسأيره رغم أن تكونه الأصلي كان أثرياً إلا أنه صرح في المقدمة بأن : (أكثر ما روي في التفسير بالمأثور حجاب على القرآن وشاغل لتأليه عن مقاصده العالية) ^(١).

غير أنه لما استقل بمعاناة العمل من مبدئه ، بدا هواه الأول للعلوم النقلية الأثرية يعاوده ويأخذ به فمال إليها ، وتتبع رجاله الأولين مثل الطبري وابن كثير وآخرين ، فبذت على التفسير مسحة أثرية ما كانت بادية على أجزائه الخمسة الأولى.

فبرزت في مجموع ذلك الوحدة التي جعلت من تفسير المنار مراد القرن التاسع عشر الميلادي والرابع عشر الهجري ، مع ما استفادة الشيخ رشيد من لقائه بعلم من أعلام النهضة الفكرية الإسلامية هو الشيخ حسين الجسر وكان من أهل اليقظة والعمل كما وصفه تلميذه الشيخ رشيد : (الوحيد في الجمع بين العلوم الإسلامية ومعرفة حالة العصر المدنية) . فتوجه تلميذه به في تغيير المنكر وجهة جديدة أصبحت تقصد إلى إرشاد المسلمين إلى المدينة والمحافظة على ملكهم وحضارتهم ومباراة الأمم الغزيرة في العلوم والفنون والصناعات ^(٢) . فنجد بعد هذه الصحوة نمو الاتجاه العلمي في العصور الأخيرة فظهرت تفاسير ومؤلفات مستقلة أودع فيها أصحابها كل ما توصل إليه العصر من علوم ومعارف منها تفسير علمي ألفه الطبيب الإسكندري - محمد بن أحمد - في ثلاثة أجزاء سمّاها : (كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية) .

(١) المصدر نفسه : ٢٥٢ت ٢٥٣.

(٢) التفسير ورجاله ت محمد الفاضل ابن عاشور (نيضة الإسلام) بتصرف.

ومنها كتاب لعبد الله فكري في (مقارنة بعض مباحث الفلك بالوارد في النصوص الشرعية) ومنها (الإسلام والطب الحديث) للطبيب الدكتور عبد العزيز إسماعيل^(١).

ومنها التفسير الضخم المسمى (تفسير الجواهر) للشيخ طنطاوي جوهرى الذي يقع في خمسة وعشرين مجلداً ومنها: (مجموعة التفاسير العلمية) التي نشرها الدكتور محمد احمد الغمراوي - في المجلات المصرية ، وطبعت بعد وفاته سنة ١٩٧٣م تحت عنوان : (الإسلام في عصر العلم) ومنها (تفسير الآيات الكونية) للأستاذ حنفي احمد ، وحسب رأي الدكتور محسن عبد الحميد : لقد اتبعنا أسساً وفقاً فيها في هذا المضمار كل من الأستاذ الغمراوي والدكتور حنفي احمد تذكرها بإيجاز:

الأول: يُحاول كل منهما ان يُحدّد المعنى اللغوي للآية تحديداً دقيقاً.
الثاني: لا يستطردان في تفاصيل الموضوعات العلمية المتعلقة بتفسير الآية... وطريقتهما في وصف الكائنات تقوم على ذكر المبادئ والأسس الضرورية حشاً على البحث.

الثالث: لا يحاول أي منهما إخضاع النصوص القرآنية لاحتتمالات النظريات العلمية^(٢)، الا نادراً ، وكذلك ما ذكره عبد الرحمن الكواكبي بقوله : (ان القرآن اشتمل على النظريات العلمية التي وجدت أنها تؤيد إعجاز القرآن الكريم مثل اكتشافهم إن مادة الكون هي الأثير فقد وصف القرآن بدء التكوين فقال: (ثم استوى الى السماء وهي دخان)^(٣)، واكتشفوا ان الأرض في حركة دائمة دائبة والقرآن يقول - (وكل في فلك يسبحون)^(٤) .

(١) دراسات - د. محسن عبد الحميد نص: ١٣٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) فصلت / ١١.

(٤) يس / ٤٠.

وحققوا ان الأرض متفتحة من النظام الشمسي والقرآن يقول - (أو لم ير الذين كفروا ان السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما^(١))، وحققوا ان طبقات الأرض سبع والقرآن يقول (خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن^(٢)) .

ويرى الباحث في قوله تعالى في وصف النجوم بالطارق - والسماوات والطارق -^(٣) ، ومعناه القادم والآتي ليلاً ثم استعمل القادم ليلاً ونهاراً فيستدل منه أنه تعالى نعت النجوم بالحركة في السماء ن ولكنه يرى ان النجوم ثابتة في السماء ، فبعد البحث يعثر على ضالته في آية رابعة في قوله تعالى في سورة طه: (تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى)^(٤)، الذي يصف فيها ارتفاع السماوات عن الأرض ، بأنه ارتفاع عظيم جداً فوق ما يتمكن تقديره ، فيعلم من ذلك أنه تعالى قد قال ان النجوم ترى ثابتة ، وقال ما يعارضه بأنها متحركة فأزال هذا التعارض الظاهري ببيان بعدها الساق عن الأرض^(٥) . وكذلك إحساسنا بان الأرض ثابتة ولكن نصغر موقعنا ولا يدلنا على حركتها العظيمة الا اختلاف الوقت والفصول.

وإذا ما انتقلنا بين بطون الكتب الحديثة العلمية التي أصبحت تتخذ أسلوباً يقرب للناس المعاني القرآنية العلمية وكذلك الحسية في مثل كتاب (التصوير الفني في القرآن) فلنأخذ مثلاً قوله تعالى (ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم ، وهم يخضمون فلا يستطيعون توصية ، ولا الى أهلهم يرجعون)^(٦)، فهذه هي الصيحة الأولى أخذتهم وهم يتجادلون ويتخاصمون ، فلم يستطيعوا حتى التوصية لأنها عجلت بهم الى القبور ثم (ونفخ في الصور ، فإذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون ، قالوا : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ هذا ما وعد الرحمن

(1) الأنبياء/ ٣٠

(2) مباحث في علم التفسير - د عبد الستار حامد: ص ١٣٣، والآية: الطلاق/ ١٢

(3) الطارق/ ١

(4) طه/ ٤

(5) التفسير العلمي للآيات الكونية - للأستاذ حنفي أحمد ص: ١٤٠.

(6) يس/ ٥٠، ٤٩

وصدق المرسلون^(١)، وهذه هي الصيحة الثانية ، وها هم أولاء يسرعون من القبور الى ربهم وهم في ذعر ودهش ، يتساءلون (من بعثنا من مرقدنا) ؟ ثم يفركون عيونهم فيتحققون (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلين) ، (ان كانت الا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون ، فاليوم لا تظلم نفس شيئا ، ولا تجزون الا ما كنتم تعملون)^(٢).

ولقد حضروا فعلا ، وارسم المشهد ، وها هم أولاء يتلقون الخطاب على مرأى ومسمع ممن يقرأون الآن هذا الكتاب^(٣) : (فاليوم لا تظلم نفس شيئا ، ولا تجزون الا ما كنتم تعملون).

وكذلك من مثل ما ذكره الأستاذ عبد الرزاق نوفل فيقول: نزلت سورة كاملة في القرآن الكريم عن الدخان المبين تكشف عن حالة العذاب الاليم التي ستعطي الناس ، فصلتها الآيات في هذه السورة إذ يقول (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم)^(٤). وقد قال المفسرون إنها حالة جذب تعطي الدنيا وتجوع الناس حتى يخيّل لهم من جوعهم ان السماء بها دخان ، وقال البعض ان من أحوال القيامة وأهوالها... أن السماء ستكون دخاناً يوم القيامة او قبيلها إذ يكون دليلاً على قيامها ولكن الآيات اللاحقة لها تثبت أنها في الدنيا وليس في الآخرة ونص الآيات: (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون، أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ، ثم تولوا عنه وقالوا معلمٌ مجنون)^(٥).

إذ أن العباد سيجأرون بالشكوى إلى الله طالبيين صرف العذاب عنهم فهم مؤمنون ... ثم تتوالى الآيات فتؤكد أن ذلك في الدنيا إذ ان الله سبحانه سيكشف عنهم العذاب قليلاً وبالرغم من ذلك سيعود العباد مرة أخرى الى المعاصي ، فلا يلبث الله سبحانه ان يبطش بهم البطشة الكبرى للانتقام ، وذلك بقيام الساعة

١ (يس / ٥٢، ٥١)

٢ (يس / ٥٢، ٥٣، ٥٤)

٣ (التصوير الفني في القرآن - سيد قطب / ٥٤)

٤ (الدخان : ١٠)

٥ (الدخان : ١٢)

بقوله : (إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون ، يوم نبطش البطشة الكبرى ، إنا منتقمون)^(١) ، فهل هذه السورة تعد نبوءة للقرآن قال بها فتحققت ... أو تقدير سبق علمي^(٢) ... الله اعلم .

ولنأخذ مثلاً آخر في كتاب (الطب محراب الإيمان) في موضوع حدود الحواس نقف عند عتبة خطيرة وهي محدودية الحواس ، ان البصر له حدود لا يتجاوزها في شروطه الأربعة لرؤية شيء مهم ، كما ان نفس الشيء المرئي اذا ابتعد أكثر من اللازم لم يعد يرى وإذا اقترب أكثر من اللازم تشوشت رؤيته ، وهي ما تعرف بنقطة المدى ونقطة الكتب والألوان المرئية لها طيوف يمكن للمعين ان تبصرها ولكن هناك إشعاعات عديدة لا تراها العين ولا يدركها البصر ، اذ ان هذا يحملنا ان نقول ان هناك أشياء غير منظورة في هذا الكون ، فهناك إشعاعات مجهولة ، وطاقات خبيثة ، وقوى خفية ولكن الإنسان يستوعب اللاحسوسات بذهنه المتقد الجبار قال تعالى : (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ، انه لقول رسول كريم)^(٣) . (لا تتركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، قد جاءكم بصائر من ربكم)^(٤) .

والقصة الرائعة الجميلة عندما طنب موسى من ربه الرؤية تعلمنا بعض الأسرار التي نبحتها : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال ربني أنظر إليك ، قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً ، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين)^(٥) .

وفي كتاب - الإيمان والحياة - يقول أديب عربي من كلمة يستقبل بها عاماً جديداً ، قلت للرجل الواقف على باب العام : (اعطني نوراً استضيء به في

(١) الدخان : ١٦-١٥ .

(٢) القرآن والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل : ص ١٨٠ .

(٣) الحاقة / ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ .

(٤) الانعام / ١٤١ .

(٥) الطب محراب الإيمان - د. خالص كنجو - ص ٢٢٢ - الآية : الاعراف : ١٤٣ .

ظلمات الطريق قال: ضع يدك في يد الله فإنه يهديك سواء السبيل ، فكيف يشعر بالوحدة من يقرأ في كتاب ربه : (والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم) ^(١). وقول موسى لبني إسرائيل : (إن معي ربي سيهدين) ^(٢). وقول محمد (صلى الله عليه وسلم) لصاحبه في الغار (لا تحزن إن الله معنا) ^(٣).

ونظرة نموذجية في كتاب - ملامح كونية في القرآن - في قوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم ، وأنه لقسم لو تعلمون عظيم) ^(٤). هل إن مواقع النجوم قريبة إلينا أم أنها من البعد بحيث يظهر لنا مبرر القسم بها وعظم القسم؟! إن نجوماً لا تحصى تبدو على عدسة التلسكوب وهي تبعدُ عن الأرض مليارات السنين الضوئية ... مجرة تقع على بعد ثمانية عشر مليار سنة ضوئية ثم رصدها بالتلسكوب مؤخراً أي ضوءها الواصل إلينا الآن كان قد غادرها منذ ثمانية عشر مليار سنة...

وتستطيع ان تعدّ المجرة نجماً من بعيد إذا لاحت لعينيك نقطة من ضوء أما عند إصرارك على تسمية الأشياء باسمها فالمجرة لا تخلو من نجوم بل انها تحتوي الملايين وقل مليارات أحيانا ولا تبالي ... فقلنا أي مواقع سحيقة تلك التي يقسم بها الخالق؟ بأبعادها المذهلة؟ ومن عظمة المواقع التي تحكمها قوانين الى انضباط صارم في العمل الى تزود ذاتي بوقود الحركة والاستمرار وما لا يعلمه الا الخالق المدبر ^(٥).

وفي مخاطبة الله تعالى لنبيه الكريم : (وأنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) ^(٦).

(1) البقرة/ ١١٥

(2) الشعراء: ٣٧٠

(3) الايمان والحياة - د. يوسف القرضاوي: ص ٢٥ والاية: ١٩٣

(4) الواقعة: ٧٥، ٧٦.

(5) ملامح كونية في القرآن - شاكِر عبد الجبار - ص ٨-٦ (يتصرف)

(6) الزخرف: ٤٤

فالقرآن هو ذكر لقوم النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم - لأنه: هو الذي جعل لهم دورهم الأكبر في تاريخ البشرية ، وهو الذي واجهوا به الدنيا فعرفتهم ودانت لهم طوال فترة استمسكوا فيها به... وإنها لتبعية ضخمة تسأل عنها الأمة التي اختارها الله لدينه ، واختارها لقيادة القافلة البشرية^(١) .

وفي قوله تعالى : (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ، ذلكم الله ربكم له الملك)^(٢) . ففي هذه الآية معجزة علمية للقرآن فقد أخبر أن الجنين له ثلاثة أغشية سماها ظلمات وهي الآن يطلق عليها:

أ- الغشاء المنباري ب- الخوريون ج- الغشاء اللغافي . والجدير بالذكر أن هذه الأغشية لا تظهر الا بالتشريح الدقيق وتظهر كأنها غشاء واحد بالعين المجردة^(٣) .

وفي قوله تعالى: (أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففلقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون)^(٤) . ونحوها من الآيات هو إطلاق لعنان العقل ليجري شوطه الذي قدر له في طريق الوصول الى ما كانت عليه الأكوان... فالإسلام في هذه الدعوى والمطالبة بالإيمان بالله ووحديته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه - وهو ما يسمى بالنظام الطبيعي - فلا يدهشك بخارق للعادة ، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة ، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية^(٥) .

(1) في ظلال القرآن - سيد قطب ج: ٧ ص ٨٤ .

(2) الزمر/ ٤٩٥

(3) روح الدين الاسلامي سفيث عبد الفتاح طباره: ص ٦٢ .

(4) الانبياء/ ٣٠

(5) الاسلام والنصرانية بين العلم والمدنية - محمد عبده: ص ٤٩ .

المبحث الرابع

اثر التفسير العلمي على العقيدة والفكر في العصر الحديث

من المعلوم ان القرآن الكريم لم ينزل ليكون كتاب هينة او فلك او طب او زراعة او صناعة ، ولكنه كتاب هداية وإرشاد وتوجيه اجتماعي الى امهات المناهج الاجتماعية التي اذا سلكها الناس سعدوا فيه دنياهم وفازوا في اخرتهم ، وهو انما يعرض للعلوم الكونية ولمظاهر الوجود المادية الطبيعية بالقدر الذي يعين على الايمان بعظمة الخالق (جل وعلا) ويكشف عن بديع صنعه وعما اودع في هذا الكون من المنافع والفوائد لبني الانسان حتى ييسر لهم بذلك طرائق الاهتداء الى الاستفادة من هذه الخيرات في الارض والسماء وفيما بين ذلك ، ثم ترك للعقل الانساني ان يجاهد ويكافح في سبيل الكشف عن مساتير هذا الوجود ، والاستفادة مما فيه من قوى ومنافع وحث على ذلك وجعل هذا من افضل العبادات واعلى انواع ذكر الله : (قُلْ انظروا ماذا في السماوات والارض) (١) . ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الاالباب ان الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذاب النار (٢) .

ومن مثل قوله تعالى: (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت ومن مثل قوله تعالى: (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان اوهن البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون) (٣) .

الحقيقة الملفتة للنظر هي وصف بيت العنكبوت بانه اوهن البيوت ، ولم يقل القرآن خيط العنكبوت او نسيج العنكبوت وانما قال بيت العنكبوت وهي مسألة لها دلالة ولها سبب ، والعلم كشف الان بالقياس ان خيط العنكبوت اقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات ... واقوى من خيط الحرير واكثر منه مرونة

(١) يونس/ ١١٠

(٢) مقدمة في التفسير لسلام حسن البنا: ص ١٨ وما بعدها، الآية: قال عمران / ١٩٠، ١٩١.

(٣) العنكبوت: ٤١.

فيكون نسيج العنكبوت بالنسبة لاحتياجات العنكبوت وأفياً بالغرض وزيادة ...
ويكون بالنسبة له قلعة آمنة حصينة.

فلماذا يقول القرآن ... ويختم بكلمة : (لو كانوا يعلمون) ، لا بد أن هناك سرا ، والواقع ان هناك سرا بيولوجيا كشف العلم فيما كشف لنا مؤخراً .
فالحقيقة أن بيت العنكبوت هو ابعد البيوت عن صفة البيت بما يلزم البيت من امان وسكينة وطمأنينة ، فالعنكبوت الاتى هي التي تبني البيت وتغزل خيوطه وهي الحاكمة عليه وهي تقتل ذكرها بعد ان يلحقها وتأكله ... والأبناء يأكل بعضهم بعضا بعد الخروج من البيض ، ولهذا يعتمد الذكر الى الفرار بجلده بعد ان يلحق انثاه ولا يحاول ان يضع قدمه في بيتها .

وتغزل انثى العنكبوت بيتها ليكون فخاً وكمينا لكل حشرة صغيرة تفكر في ان تقترب منه ، وكل من يدخل البيت من زوار وضيوف يقتل ويلتهم ، انه ليس بيتاً اذاً ! بل مذبحه يختم عليها الخوف والتريبص ، وانه لأوهن البيوت لمن يحاول ان يتخذ منه ملجأ ...
والوهن هذا كلمة عربية تعبر عن غاية الجهد والمشقة والمعاناة وهذا شأن من يلجأ لغير الله ليتخذ منه معيناً ونصيراً ، (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) (انصاراً) كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت - لو كانوا يعلمون) .

نزوة في دقة التعبير وخفاء المعاني ومحكم الكلمات واسرار العلوم مما كان معروفاً أيام النبي ومما لم يعرف الا بعد موته بالف عام ... واعجاز قطعي لا شك فيه يتحدى العقل ان يجد مصدراً لهذا العلم غير مصدر الالهي^(١) .
وفي سورة الكهف نقرأ مثلاً اخر حينما يروي القرآن عن رقدة اهل الكهف : (وليثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا)^(٢) . فنعلم الان بالحساب الفلكي ان الثلاثمائة سنة بالتقويم الشمسي تساوي ثلاثمائة وتسعا بالتقويم القمري - باليوم والساعة والدقيقة - وكان التقويم المتبع أيام نزول الايات

1 (محاولة لفهم عصري للقرآن - د. مصطفى محمود : ص ٢٥٤ - ٢٥٣ .

2 (الكهف / ٢٥

قمرياً فلزم ان يقول القرآن ان السنوات قد ازدادت تسعاً - وهو الفرق بين التقويمين وهذا سر لم يُعرف الا الان^(١).

- البعد الزمني بين القرآن -

ان من اهم اسرار القرآن وكنوزه العلمية ذات الدلالة الفكرية والعقائدية الحساب الزمني في العديد من الايات حيث يتحدث القرآن عن البعد الزمني الذي يلفت الانظار في ايات موجبة ذات دلالات عميقة.

(قال: كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً او بعض يوم)^(٢).

(ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار)^(٣).

(يوم يدعوكم فتستجيبيون بحمده ، وتظنون ان لبثتم الا قليلاً)^(٤).

(قالوا : لبثنا يوماً او بعض يوم فاسأل العادين)^(٥).

(ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة)^(٦).

(ثم يُعْرَجُ اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون)^(٧).

(يسأله من في السموات والأرض ، كل يوم هو في شأن)^(٨).

(كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها)^(٩).

(اذ يقول أمثلهم طريقة ، ان لبثتم الا يوماً)^(١٠).

(وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون)^(١١).

(1) المصدر السابق: ص ٢٥٤

(2) البقرة: ٢٥٩

(3) يونس: ٤٥

(4) الاسراء: ٥٢

(5) المؤمنون: ١١٣

(6) الروم: ٥٥

(7) السجدة: ٥

(8) الرحمن: ٢٩

(9) النازعات: ٤٦

(10) طه: ١٠٤

(11) الحج: ٤٧

ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب^(١).

(الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام)^(٢).
ان بين هذه الايات المثبتة في حنايا القرآن وغيرها كثير ، ترابطاً وانسجاماً رياضياً دقيقاً وان فيها تأكيداً مستمراً على الحقيقة الكبرى التي لم تنكشف بعض جوانبها للعلم الا أخيراً ، (تلك هي ان الزمن في الأرض والزمن في امداد الكون ليسا سواء ، وان هناك فرقاً شاسعاً بين الوحدة الزمنية الأرضية والوحدة الزمنية الكونية تبلغ تارة (٣٦٥,٠٠٠ ضعفاً) وتبلغ تارة أخرى (١٨,٢٥٠,٠٠٠) بحساب القرآن الكريم نفسه^(٣)... فأين نحن في حياتنا الدنيا وفي ايماننا الضئيلة التافهة هذه؟ من اجل ذلك سيشهده الناس يوم القيامة وسيظنون ان حياتهم الدنيا لم تكن سوى ساعة من نهار ، وانهم لم يلبثوا الا قليلاً ، وعندما يسأل احدهم : كم لبثت ؟ يجيب : لبثت يوماً او بعض يوم. وأما المجرمون فيقسمون انهم ما لبثوا غير ساعة... ويقول أمثلهم طريقة : ان لبثت الا يوماً ويسعى هؤلاء المجرمون الى التأكد من هذه الحقيقة الواضحة للعيان فيلتمسسون من الله (جل وعلا) ان يسأل العادين فلعل عندهم الخبر اليقين... ومن اجل ذلك كانت دعوة الكافرين وهم يتخبطون في اعماق جهنم ان يخفف عنهم يوماً واحداً من العذاب ، فما اشد هذا اليوم الكوني وما اطوله فهو ربما يكون (٣٦٥,٠٠٠ الف يوم ارضي) وربما يكون (١٨,٢٥٠,٠٠٠ مليون من أيامنا على الارض) حقيقة رهيبه هائلة .. تقشعر لها الابدان وتشعرنا لو كنا مؤمنين قليلاً بضآلتنا وتفاهتنا وانحسارنا في زاوية من زوايا الكون لا تعدو أيامها ان تكون لحظات من الأيام هناك فيما وراء عالمنا الأرضي ونسبياته المحزنة^(٤).

(١) غافر: ٤٩

(٢) السجدة: ٤

(٣) القرآن والبعث الزمني - د. عماد الدين خليل : ص ٥-٤

(٤) المصدر السابق: ص ٦-٥

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على من اصطفاه معلماً وهادياً للعالمين فبعد:

لقد حاولت في هذا البحث الموجز أن أجمع البصمات الأولى التي وضعها علماؤنا الاجلاء في سبيل ابراز معاني حقة في القرآن الكريم وهي الاصل في العقيدة والدين ، وهي تبين ان توافق العلم معها يدلنا على الخالق تبارك وتعالى ، فيهتدي بها الضال حين يسترشد بعقله ويتفكر في ملكوت السماوات والارض كما بين سبحانه اهمية ذلك في قوله تعالى:

(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار)^(١).

(١) آل عمران: ١٩١-١٩٠

المراجع والمصادر

أ- القرآن الكريم

- السُّنة النبوية.

١	الإتقان في علوم القرآن - السيوطي - ط القاهرة - الحلبي ١٩٥١م.
٢	إحياء علوم الدين - الغزالي - ط الحلبي القاهرة - ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.
٣	الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية - محمد عبدة - ط دار المنار القاهرة - ١٣٧٣هـ.
٤	الإيمان والحياة - د. يوسف القرضاوي - ط٢ القاهرة - وهبة ١٩٨٧م.
٥	التصوير الفني في القرآن.. سيد قطب ت طه دار الشروق ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٦	التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم - حنفي احمد - ط دار المعارف بمصر ١٩٦٠م.
٧	التفسير ورجاله ت: محمد الفاضل ابن عاشور ، ط تونس دار الكتب الشرقية ١٩٧٢م.
٨	التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ط القاهرة ١٣٨١هـ - دار الكتب الحديثة.
٩	تفسير في ظلال القرآن - سيد قطب ط٧ دار احياء التراث العربي ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
١٠	جمال الدين الافغاني المفترى عليه - د. محسن عبد الحميد - ط بغداد
١١	جواهر القرآن - ابي حامد الغزالي - ط٣ دار الافاق - بيروت ١٩٧٨م.
١٢	دراسات في أصول التفسير - د. محسن عبد الحميد - ط٢ الدار البيضاء ١٩٨٤م.
١٣	روح الدين الاسلامي - عبد الفتاح طيارة - ط١٠ بيروت لبنان.
١٤	القرآن - محاولة لفهم عصري - د. مصطفى محمود ط٢ القاهرة.
١٥	القرآن والبعد الزمني - د. عماد الدين خليل - ط١ دار العلم للملايين - بيروت.
١٦	القرآن والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل - ط١ مصر ١٩٥٩م.
١٧	الطب محراب الايمان - خالص جلي - كنجو ط١ مكتبة المنار بغداد ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
١٨	مباحث في علم التفسير - د. عبد الستار حامد - ط بغداد ١٤١١هـ / ١٩٩٠م جامعة بغداد.
١٩	مقدمة في التفسير - الامام حسن البنا - ط اتونس.
٢٠	ملاح كونيّه في القرآن - شاكر عبد الجبار - ط١ بغداد ١٩٨٥م.